حدث في مثل هذا اليوم من العام الماضي ١/ أبريل / ٢٠١٥م بمحافظة الضالع ..

هروب جماعي للواء ٣٣ مدرع وقصص فداء وتضحية وبطولة

يرويها / عبدالغني الخطيب

لا تزال الذاكرة تحتفظ بيوم الهروب الجماعي لقيادات وكثير من أفراد اللواء ٣٣ مدرع حرس جمهوري بقيادة مجرم الحرب "ضبعان"، وكذا هروب كل أفراد الأمن المركزي من معسكر عبود والأمن المركزي ومعسكر الجرباء اللائي يقعن في ضواحي مدينة الضالع ، ولم يتبق إلا مليشيات الحوثي والمتحوثين من منتسبي اللواء ٣٣ ومنتسبي الأمن المركزي ، حيث ظلوا متمركزين في مواقع هامة مثل موقع الخزان والمواقع التي خلفه المطلة على معسكر الجرباء وموقع المظلوم وموقع القشاع ومعسكر الجرباء والقناصة المتواجدين في المجمع التربوي والسنترال والأمن العام والكلية ومستشفى التضامن ومستشفى السلامة وبعض المواقع الأخرى.. كنتُ متوقعاً أن النصر سيكون اليوم لكن الذي حدث أن الذين دخلوا اللواء والأمن المركزي كان جلهم من المواطنين. ودخلوها للنهب لا للسيطرة عليها ، كذلك موقع القوى الجوية والبنك المركزي لم يفكروا أبداً بالسيطرة على المواقع بل كان جل همهم النهب مما أثار غضب شباب المقاومة تصرف المواطنين وبعض المقاومين.

دبابة رابضة

لا أحد من أبناء الضالع ينسى تلك الدبابة الجاثمة في الموقع المطل على قرية الوعرة ، عندما هرب الجنود بحث الشباب عن سائق دبابة وعندما ذهب سائق دبابة خوّفوه من أن تكون الدبابة ملغمة وتركوها وانصرفوا. في الوقت نفسه كان شباب المقاومة في جبهة مدينة الضالع يدكون مواقع المليشيات التي مازال الحوعفاشيون يتمركزون فيها مثل موقع الخزان والمظلوم ومعسكر الجرباء.

وفي شوارع المدينة تقدم شباب المقاومة بقيادة الشهيد أياد الخطيب إلى أمام المتحف والسنترال لتطهيرها من القناصين في عملية فدائية بطولية تسجل بأحرف من نور.

وعند الساعة الحادية عشرة تقريبا تواجد الشباب أمام صرافة الصيفي ولم يستطيعوا تحديد مكان القناصة الحوثة ، فتقدم الأخ المقاوم والبطل المغوار "محمد علي قاسم" من قرية غول صميد ليستطلع فسقط شهيدا برصاصة قناص حوثي رحمه الله تعالى رحمة الأبرار، كانت آخر رسالة بيني وبينه قبلها بيوم أخبرني عن المدرعة التي تقدمت إلى جانب الصيفي للصرافة في الشارع العام وأنهم أرغموها على الانسحاب إلى الخلف.. فعندما سقط لم يستطع أي شخص التقدم لإسعافه فانبرى لهذا العمل القائد البطل "هيثم الدب" من قرية الحود ، وصاح فيهم : " والله إنني سأخرجه..." ، حاولوا منعه فرفض وطلب من الشباب التغطية النارية وفعلا انطلق كالليث باتجاه الأخ الشهيد محمد علي قاسم ومد يداه ليحمله ولكن رصاصة القناص القاتلة منعته من ذلك وسقط شهيداً فوق الشهيد ، ورسما أروع لوحة جسّدت كل معاني البطولة والفداء ، صورة دفعت الأخ المقاوم "عبده مسعد" للتقدم لإنقاذهما فلم يمهله الوغد القناص فسقط شهيداً ثالثا على مقربة منهم في موقف تجمعت فيه الأسود أمام قناص حقير ، فصاح البطل "مهتم" أخو الشهيد "الدب" : (لا تقتربوا منهم ..القناص سيفنينا جميعا..) قالها وهو ينظر إلى جثة أخيه الدب بمرارة وحرقة ، فأراد أن يعتلي أحد العمارات ليستطلع عن مكان القناص ، فمنعته رصاصة قناص آخر فسقط شهيداً رابعاً.. وهنا تعجز الكلمات عن وصف المشهد ...المعركة لم تنته والمشهد لم يكتمل والمأساة لم تنته فهناك شباب تتدفق في نفوسهم روح الفداء والتضحية ، الخوف لا مكان له في قلوبهم ، وإصرار على النصر مهما كلفهم ذلك... وعلى مقربة من جثث الشهداء تقدم أسود الوغى تقدم المناضل "محمود البتول" فأصيب في أذنه ورقبته برصاصة أراد مطلقها الرأس فتدخلت عناية الرحمن وحفظته فأصيب بالرقبة والأذن وأسعف على الفور ، لم تمض دقائق حتى أصيب القائد البطل "علي عنتر حسين" في الرأس إصابة قاتلة وتم إسعافه إلى المستشفى ثم إلى عدن وتوفي رحمه الله في عدن في نفس اليوم ودفن هناك ، وبنفس المكان والزمان أصيب العميد المقاوم علي الملوي وتم إسعافه.

بدايات مبشرة

وكان يوم بداياته مفرحة ، لكن لم يكمل فرحته مشهد مرعب لا تستطيع حروف اللغة تصويره بما يستحق مشهد الإخوة الثلاثة ، الأخوين الشهيدين الدب ومهتم وبجانبهم أخوهم الجريح القذافي. ومشهد الشهيدين محمد علي قاسم وعبده مسعد. وهناك الشهيد علي عنتر والجريحين القائدين محمود البتول والعميد علي الملوي .

ومن هنا أتساءل عن أولئك الذين اختبؤوا وراء أستار الذل وخدور النساء الذين يقصون علينا بطولاتهم الوهمية وينسجون قصصا خيالية عن بطولاتهم المزيفة.. أين كانوا في هذا اليوم؟

يأيها التاريخ.. سجل في صفحاتك عن فتية سقطوا هنا في شوارع مدينة الضالع دفاعا عن الدين والعرض والأرض.. أنهم ما خافوا وما جبنوا وما كانوا يبحثون عن غنيمة أو متاع زائل..

هنا مدينة الضالع ..مدرسة الفداء والتضحية.. هنيئا لكم الشهادة أحبابي.. فأنتم من رفعتم هاماتنا في السماء ورسمتم تاريخنا المشرق.. وتعسا ونكسا وذلا وعارا على من يتجاهلكم وينسى مآثركم التي سجلتموها بدمائكم الزكية في صفحات العز والشرف..

أما عن القناص أين كان مختبئا؟ فقد أخبرني فيما بعد الأخ سلال أحمد علي حارس السنترال قال : " في صباح ذلك اليوم تفاجأت بدخول الحوثة إلى السنترال عبر فتحة فتحوها في سور السنترال من اتجاه إدارة الأمن التي يسيطرون عليها وكانوا خمسة شهروا السلاح في وجهي، وأخبرتهم أني أعمل في السنترال فأخبروني أنهم أتوا لتحريرنا من الدواعش وصعد أحدهم الدور الأخير وجلس الآخرون في الدور الأول وفي الحوش وبعد ساعة نزل الحوثي من فوق وقال: لقد قتلت أربعة دواعش.. قال ثم طلبت منهم أن أذهب إلى البيت فسمحوا لي " .

وفي نفس اليوم سقط شهيد من الحبيلين كان ماراً هو وأخوه بسيارتهما ، فقُتل لم نتذكر اسمه رحمه الله تعالى. ولم يستطع الشباب تمشيط الشارع فقد كثر الشهداء والجرحى وأنهكهم التعب والسهر تسعة أيام بلياليها وهم على هذا الحال.

يوم عصيب وثقيل

وعند العصر اتصلت بأخي الشهيد "أياد" قائد الجبهة الجريح مرتين في ركبته وفخذه أخبره أن الدكتور أخبرني عَن ضرورة تسفيره إلى يافع وأنه بحاجة إلى راحة تامة ومجارحة مستمرة ، فقال رحمه الله: " أنا ذاهب إلى الأخ القذافي الجريح وأخو الشهيدين الدب ومهتم أزوره كونه إلى الآن لا يعلم بأن أخويه استشهدا ، فسكتّ ولم أستطع مواصلة المكالمة.."

ومن قرية الحود وصلني خبر هز كياني!... وصلني أن ستة شهداء سقطوا في موقع المظلوم المطل على قريتي الدقة والحود والمطل على لواء عبود وأن جثثهم مازالت بيد الحوثة ، تواصلت مع بعض الإخوة فأكدوا لي الخبر بأن مجموعة فدائية من المقاومة بقيادة الشهيد البطل "علي الرجال" اقتحموا موقع المظلوم وعند وصولهم إلى رأس الموقع ، فاجأهم جنود من الحوثة كانوا مختبئين في حفرة في الموقع واستطاع مقاومون آخرون الانسحاب إلى أسفل القرية الدقة. وقالوا لقد وقعوا في فخ قاتل ومرت الساعات والنّاس لا تعلم هل قتلوا أم أسروا ؟! ، وعند المغرب وصل خبر استشهاد ستة شهداء رحمهم الله جميعا ..

حصيلة ثقيلة

فكان هذا اليوم قاس وصعب علينا ، فقد فقدنا ثلاثة عشر شَهيدا في مدينة الضالع والمظلوم..، ومع دخول المساء وصلتنا أخبار عن وصول تعزيزات إلى سناح متجهة إلى الضالع ، فوجهنا نداءً لكل القرى الممتدة إلى مدينة الضالع على امتداد عشرين كيلو متر ووصلت التعزيزات الحوثية معززة براجمات صواريخ وأطقم وغيرها من الأسلحة الثقيلة والمتوسطة.. وأسماء شهداء ذلك اليوم هم كالتالي:

1 - الشهيد هيثم محسن الدب
2 - الشهيد مهتم محسن
3 - الشهيد محمد علي الصميدي
4 - الشهيد علي الرجال
5 - الشهيد عبده مسعد الجحافي
6 - الشهيد جميل المرهبي
7 - الشهيد صدام دبش
8 - الشهيد عبدالله سيف الرسيمي
9 - الشهيد عبدالله الحجري
10 - الشهيد سميح محمد حسين
11 - الشهيد محمد عبده البهاري
12 - الشهيد محسن علي بن علي الزند
13 - الشهيد علي صالح عنيم
١٤-الشهيد علي عنتر حسين

هذا ما استطعت جمعه من معلومات في هذا اليوم، ومن لديه أي معلومات أخرى فليضيفها، ورحم الله شهداءنا رحمة واسعة وشفى الله جرحانا، كما نعتذر عن أي اسم شهيد أو جريح سقط في هذا اليوم ولم نذكره هنا..

سقوط ١٣ شهيداً وهم يسجلون بدمائهم آثار ملحمة كبرى في الدفاع عن عرينهم